سلسلة فرسان الإسلام

عماد الدين زنكي

بقلم

محمد ثابت توفيق

مكتبة العبيكان

obeikandl.com

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

لجنة التأليف والترجمة بمكتبة العبيكان

عماد الدين زنكي. ـ الرياض.

٦١ ص ؛ ١٧x٢٢سم (سلسلة فرسان الإسلام ؛ ٩)

ردمك: ٢-٩٥١-٢٠-٩٩٦٠

١ ـ الأتابك، زنكي بن آقسنقر، ت ٥٦٩هـ.

٢ـ الفتوحات الإسلامية أ ـ العنوان ب ـ السلسلة

ديوي ٩٥٣,٧٣٩٢ ٢٢/١١٣٧

ردمك: ٢-٩٥١-٢٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٢٢/١١٣٧

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

حقوق الطبع والنشر محفوظة

الناشـــر

مكتبة العبيكان

الرياض ـ العليا ـ طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص. ب: ٦٢٨٠٧ الرمز: ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

رحمة من عند الله

قضى الله – عز وجل – منذ خلق آدم عليه السلام وأنزله إلى الأرض أن يكون فيها النقيضان معًا: الخير والشر.

فقد هبط آدم إلى الأرض ليعمرها، كذلك هبط إبليس اللعين ليوسوس له كي يبعده عن عمارة الأرض، وعمل الخير.

واستمر الخير يصارع الشر فوق هذه الأرض، ولكن الله – وهو الحق – لم يرض للخير أن يكون مهزومًا، أو أن يكون الشر منتصرًا، حتى وإن حدث ذلك لبعض الوقت، ولذلك أرسل عز وجل الأنبياء والرسل إلى أمم متعددة، وعلى فترات مختلفة من الزمان، ليقضوا على تأثير الشر، وليعلوا راية الخير، وليرشدوا الناس إلى الطريق الصحيح في الدنيا والآخرة: طريق عبادة الله عز وجل وحده والبعد عن وساوس الشيطان.

الحقد يتحرك:

في القرن الهجري الخامس، في نهايته، عام (٤٩٢هـ) الموافق عام (١٠٩٤م)، خرجت أولى الحملات الصليبية، أعداد كبيرة من البشر، تعد بمئات الآلاف، أعداد ضخمة لم تعرف الحضارة، أناس لم يكن يجمعهم

مبدأ، ولا هدف لهم ولا غاية، ولا أثر للدين في نفوسهم، والشيء العجب أنهم رفعوا الصليب متعلقين بالأوهام التي زيفوها وزورها، وقالوا عنها: المسيحية، ولم تأمر أي ديانة بما فعلوا، ويكفي أن نذكر هنا عدة مواقف لهؤلاء.

قسوة المتشردين:

هؤلاء المتشردون الذين رمت بهم أوربا، من فرنسا وألمانيا والنمسا وهنغاريا، هؤلاء الذين أعماهم الشرّ، فوصلوا بأفعالهم إلى أدنى درجة من الحيوان الأعجمي، لقد وصل عدد قتلى المسلمين إلى سبعين ألف قتيل، وقيل: إن خيل الصليبيين كانت تتحرك في أنهار من دم المسلمين، ومنهم الشيوخ والأطفال.

وكان الهدف هو (امتلاك بيت المقدس)، وراحو يتحركون ناحيته في حملات متتالية، ومحاولات متكررة، نقف عند جزء منها لنوازن بينه وبين أخلاق المسلمين الذين لم يكونوا يحاربون أي رجل لم يحمل سلاحًا ضدهم، ولا يقتلون شيخًا كبيرًا في السن، ولا يتعرضون لامرأة، ولا يؤذون طفلاً، يحافظون حتى على شجر البلاد التي يدخلونها، أمَّا الصليبيون الذين راحوا يتقدمون وقلاع العالم الإسلامي تقع تحت قسوة هجماتهم فلم يرحموا شيخًا، ولم يتركوا شيئًا.

شمعة في الظلام:

وفي وسط هذه الظروف البالغة القسوة التي كانت قد أحاطت بالعالم الإسلامي كان لابد من شمعة تنير هذا الظلام، وتشعر الناس بقرب تحقيق الأمل.. كان لابد من قائد يتوحد المسلمون من خلفه؛ كي يواجهوا هذه الجموع، ويوحدوا صفوفهم، ويجهزوا قواتهم، فقد نهض ثلاثة من أبطال المسلمين على مدى ثلاثين عامًا (٤٩٢هـ حتى ٥٢٢هـ) حاولوا التصدي للهجوم الصليبي: أمَّا أولهم فهو: سقمان بن أرتق، ولكنه مرض وهو في طريقه لنجدة بلد مسلم حاصره الظلمة، وكان يشعر بقدر معاناة إخوانه المسلمين، فلما رأى أصحابه مقدار تعبه نصحوه بالعودة حتى يستريح، ولكنه أبى قائلاً لهم:

لا والله !! لا يراني الله تثاقلت عن قتال الكفار خوفًا من الموت.

أما ثاني الأبطال فكان اسمه يلغازي، وقد مات بمرض أصابه وهو يحارب ضد الصليبين في الشام، أما ثالث الأبطال الذين قاموا في وقت شديد الصعوبة معلنين تحدِّيهم للظلم مهما كثر عدده، هو بلك بن بهرام، وهو مثل سابقيه إن لم يكن قد استطاع تحرير بلاد المسلمين إلا أنَّه قد حاول، أمَّا لماذا لم تأت محاولاتهم بنتيجة؟ فهذا سؤال ينبغي أن تسبقه أسئلة لماذا

انتهز الصليبيون الفرصة في هذا الوقت بالذات؟ وأين كانت خلافة المسلمين القوية وقت أن هجموا، وذبحوا سبعين ألفًا، ومزقوا المصحف الشريف؟ لقد كان العالم الإسلامي ممتد الأطراف في الأندلس «أسبانيا حاليًا» وفي إيران، في تركيا، في بغداد، في شبه الجزيرة، وفي شمال أفريقيا، فماذا حدث للمسلمين؟

موقف له معنى:

ففي نهاية بلك بن بهرام معنى ينبغي الإشارة إليه قبل الإجابة عن هذه الأسئلة، هذا البطل الثالث الذي أسرع لمقاومة الصليبيين، فمات وهو يخرج سهمًا كان قد دخل في ظهره علامة على الخيانة، فلم يستطع قاذفه أن يواجهه به، وقال الرجل وهو يلفظ أنفاسه: «هذا قتل المسلمين جميعًا».

وكان يقصد بكلماته ذلك الذي رماه بالسهم وغدر به من أهل دينه..

يسر بعد عسر:

وبقدر ما كانت المخاطر التي تحيط بالمسلمين كانت رحمة الله بهم، إذ جعل لهم رجلاً يقف في ثبات، ويمد الله في عمره حتى يستطيع أن يحدد الطريق، ويضع قواعد مقاومة الصليبيين ولا يموت قبل أن يؤدي دوره، ويترك الطريق واضحًا، وتكون في يده راية للمقاومة واضحة المعالم، آخر يختلف عن «سقمان» و«يلغازي» و«بلك بن بهرام» هولاء حاولوا ووقفوا ضد قوة

الشر الضخمة، لكنَّ هذا الرجل استطاع أن يحدد الطريق لمن سيأتي بعده، نعم كان واحداً من البشر لم يكن ملاكًا، أو منزهًا في أفعاله كلها، وإنّما يكفيه أنّه كان رجل المواقف الصعبة، إنه عماد الدين زنكي، الذي سنتعرف عليه، وعلى شخصيته، ونرى تاريخ كفاحه وحياته والظروف المحيطة به في ذلك التاريخ.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثاني

تأثير عكسي

ظن الخاطئ:

ظن الصليبيون أنّهم سوف يقضون على المسلمين حينما يصطدمون بقوتهم، وسلاحهم فيتسلل اليأس إلى نفوسهم فيسلمون أرضهم وأموالهم ومن قبلهما دينهم، والحقيقة أن الصليبيين لم يحسنوا قراءة تاريخ المسلمين، كما لم يحسنوا قراءة نفوسهم، لقد عاش الصحابة-رضي الله عنهم- وفيهم الرسول ﷺ هزيمة غزوة أحد، وعلى الرغم من قسوتها وشدتها عليهم، فإنها لم تنه مقاومتهم، وإنما نبهتهم إلى خطأ كان بعض الصحابة قد ارتكبه حينما تركوا حماية ظهر المسلمين، ونزلوا لأخذ بعض الغنيمة، من الإبل والمتاع اللذين تركهما الكفار بعد أن هُزِموا في البداية، ولولا الهزيمة لما تنبَّه المسلمون إلى الخطأ، وهكذا فمهما كانت الصدمة قاسية في حياة المسلمين فإنَّها تنبههم إلى نقاط ضعفهم، فيقوونها حتى يستطيعوا إصلاح أمرهم وهزيمة عدوهم.

حالٌ لا يَسُر:

استمرت الحملات الصليبية مئتي سنة قاسى المسلمون فيها كثيراً، إذ لم

يكن حال الدولة الإسلامية في أواخر القرن الخامس الميلادي يَسُر، فالخلافة العباسية كانت تعاني من ضعف شديد لدرجة أنَّ الخليفة الذي كان يقيم في بغداد لم يكن إلا رمزًا فاقدًا القدرة على الحكم، وليس له من الأمر شيء، وقد كثرت المنازعات من حوله، وكبرت المشاكل، وانتشرت الفوضى في البلاد بعدما ازداد الصراع بينها وبين الخلافة العباسية، فعسكر مصر خرج منها وسار حتى استطاع أن يأخذ (صيدا) و(عكا) و(جبيل) بالقوة..

وقد عمت الفوضى كل أرجاء الخلافة حتى العاصمة بغداد.

التفتّت والتمزق:

وفي النهاية فإنّ العالم الإسلامي، صار عدة دويلات ممزقة لا يخافها عدو، ولا يفرح بها حبيب، فهناك الدولة الفاطمية في مصر، والعباسية في بغداد، أما الأندلس فكانت فيها خلافة أموية لا تزال موزعة بين مدنها، ويطمح حكامها السابقون من النصارى في العودة إليها، أما في المغرب العربي، فكانت رياح حب النفس تعصف بشدة، والصراع على كراسي الحكم يحول دون حماسة الدين أو الخلق..

وعلى الرغم من هذا التمزق لا يمكن أن نقارن بين أبناء الحضارة المسلمة وفيهم العلماء والأدباء والفقهاء، وبين الذين لا أصل لهم ولا حضارة.

لقد كانت فترة الظلام التي أحاطت بالمسلمين أصحاب العلم والأدب والحضارة هي مقدمة لشروق الشمس من الشرق من جديد... شمس عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي، الذين آن ميعاد لقائنا بأولهم، إنه: عماد الدين زنكي.. جزى الله الجميع خير الجزاء.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث

بطلٌ أفرزته ظروف صعبة

أبٌ مكافح:

كان آقسنقر بن عبدالله آل ترغان الذي ينتمي إلى قبائل الساب ريو التركمانية يلقب بـ «قسيم الدولة» إذ إنه كان مملوكًا للسلطان السلجوقي ملكشاه بن ألب أرسلان، رافقه في الطفولة والصبا، وكان من أقرب أبرز أمرائه إليه، بل أصدقائه، وقد اعتمد عليه السلطان حتى نال هذا اللقب في وقت لم تكن الألقاب فيه تعطى إلا لمستحقيها.

أنجب آقسنقر ابنًا كان اسمه «زنكي» ولقب بعماد الدين عام (٤٧٥هـ)، وتدرج آقسنقر في مكانته إلى جوار «ملكشاه» حتى نال لقب «الحاجب» وهو يعني أنه كان يقاسم «ملكشاه» أمور الحكم والإدارة! بحيث أثار ذلك غيرة منافسه الوزير نظام الملك، فأخذ يحذر السلطان منه، ثم أشار عليه في النهاية بتوليته حلب إبعادًا له عن مجال المنافسة له.

علاقة فريدة:

أغفلت المصادر تحديد العلاقة التي كانت بين قبائل (الساب ريوالتركمانية) وبين السلاجقة، فهل كانت بينهما علاقة قوية تسمح بأن

يختار (ملكشاه) آقسنقر كي يقاسمه أمور الحكم والإدارة بحيث يغار منه نظام الملك، فيشير على الملك بتوليته حلب؟

إنَّ علينا كي نعرف طبيعة العلاقة الفريدة التي كانت بين (ملكشاه) وآقسنقر أن نعرف بعض المعلومات عن تاريخ حياة ملكشاه، وعن أصله قبلها، ففي هذا المعلومات سنجد تفسيراً لتقريبه آقسنقر منه ومن الحكم.

السلاجقة:

ينتمي ملكشاه إلى السلاجقة الذين يرجع تاريخهم إلى تركيا اليوم، وربما كان إسلامهم يرجع إلى لقاء المسلمين بالأتراك في القرن السابع الميلادي، وهم ينتسبون إلى رجل اسمه « سلجوق »، وكان مسلماً، ويبدو أنه كان فارساً يحسن أمور الحرب، إذ إنه خلص سكان الوادي الأدنى لنهر سيحون من الجزية التي كانوا يدفعونها للغزاة الذين كونوا فيما بعد « دولة المغول ».

ثم قام حفيد سلجوق بتكوين الدولة السلجوقية بعدما انتصروا في « فرسان » على الدولة الغزنوية، فأخذوا بعدها يرتبون أمور دولتهم آخذين عن الإيرانيين قواعد الحكم، ثم تقدموا نحو الغرب، وأطلقوا على قائدهم لقب « شاهنشاه » ثم تركوه، واتخذوا لقباً آخر دلَّ على طريقة تفكيرهم هو لقب « سلطان المسلمين ».

وكلمة سلطان لديهم كانت تعني الحاكم المستقل المسيطر، وبذلك أصبح في الدولة الإسلامية الخليفة الصوري في بغداد، ومن بعده سلطان المسلمين، ويشاء الله في هذا التوقيت التي تقبل الأمة الإسلامية فيه على فترة بالغة الصعوبة من حياتها أن يرى السلاجقة أن مهمتهم ليست إعلاء كلمة الدين داخل الدولة الإسلامية وحدها، بل رأوا أنَّ عليهم أن يهزموا الأعداء في الخارج، وأن يوسعوا حدود ديار الإسلام، وهكذا، وقد حاول السلاجقة الاستيلاء على الموصل عام (٤٧٧هـ) ونجحوا في ذلك، وبعدها بسنتين ضموا إلى مملكتهم حلب وغيرها من المدن الإسلامية، كذلك تقدموا على المستوى الخارجي في الأناضول، وفي قفقاسيا، لدرجة أخذت تهدد الدولة الرومية الشرقية في «القسطنطينية»، فهم بين خطرين استيلاء السلاجقة على بلاد الشام مما يعني زيادة قوتهم مع علم الروم برغبة السلاجقة في التوسع، وكذلك تهديدهم للقسطنطينية.

ملكشاه:

السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي من الملوك الذين اشتهروا بالصفات الحسنة، ومن بينها العدل، وهو مثل جميع السلاجقة ينتمي إلى أصل تركي، أخذ ملكه عن أبيه، وامتدت مملكته من أقصى بلاد الترك، حتى أقصى بلاد اليمن، وقد اشتهرت مملكته بالقوة، وكانت الطرق في

عهده آمنة، وكانت له هيبة وعظمة في نفوس الناس، ومع ذلك كان يقف للمسكين والفقير والضعيف يستمع إلى طلباتهم، وينفذها، وقد شهدت البلاد في عصره نهضة عمرانية؛ حتى إن آثارها لا تزال باقية في بغداد مثل: جامع السلطان.

ولكن ملكشاه وقع في خلاف بينه وبين أخيه تتش، تطور حتى خرجا لقتال بعضهما فسار ملكشاه بعسكره من أصبهان حتى أنطاكية فما عُرِف أنه ظلم أحداً من الناس، وعندما دعا الله أثناء سيره، وكان إلى جواره نظام الملك، وبعد أن انتهيا من دعوتيهما سأل ملكشاه نظام الملك عن الدعوة التي دعا الله بها، فقال: إنّه دعاه بأن ينصره على أخيه.

فقال ملكشاه:

ولكني دعوت الله.. قلتُ: اللهم إن كان أخي أصلح للمسلمين فظفره بي، وإن كنتُ أنا أصلح فظفرني به...

وهكذا لم يكن الرجل يرى مصلحته هو، بل يرى مصلحة جميع المسلمين، ومع شهرته بالعدل فإن اختياره لآقسنقر والد عماد الدين زنكي لا شك أنه كان يعني شبهًا شديداً في الصفات بينهما، خاصة وأن المصادر التاريخية لم تورد أن هناك علاقة بينهما قبل أن يتبع آقسنقر ملكشاه، ويكون واحداً من مواليه المقربين.

وحفظًا للجميل فقد استمرت علاقة آقسنقر بملك شاه علاقة طيبة، ولم يستجب لمحاولات غيره بإقناعه بالخروج عليه ومحاربته حتى توفي ملك شاه عام (٤٨٥هـ)، وتولى ابنه بركياروق، فثار عليه عمه تتش الذي كان قد حارب أباه من قبل، وطلب السلطنة لنفسه، واضطر آقسنقر للانضمام إليه بخاصة وأن بركياروق لم يثبت حكمه بعد، لكن تتش لما هاجم ابن ملكشاه تغير الأمر، إذ انضم آقسنقر إلى بركياروق ابن ملكشاه حفاظًا لجميل أبيه مما دفع الأخير إلى أن يجعله يحارب عمه في حلب، لما علم تتش بالأمر سار على رأس جيشه حتى مكان اسمه «تل السلطان» القريب من حلب وهناك دارت المعركة وهُزِمَ فيها آقسنقر، وتمكن تتش من أسره وقتله، واستولى في البداية على حلب، ولكن أحد مماليك آقسنقر استطاع أن يقتل تتش، فانتصر بركياروق قرب الري وتوطد حكمه.

ردُّ الجميل:

وهكذا فإن السلاجقة هم الذين اختاروا آقسنقر والد عماد الدين زنكي، وهم الذين رقّوه في خدمتهم، وقد رد الجميل إليهم في فترة ولايته وحكمه حلب إذ نشر الأمن بعد أن كان اللصوص قد انتشروا، واستطاع بسياسة حازمة أن ينهي أمور الفوضى فانتعشت البلاد، هذا مع كونه:

شديد التقوى، عميق الإيمان، أنفق كثيراً من الأموال على عمارة مساجد حلب، وأقام الحدود الشرعية في البلاد.

نشأة البطل:

عندما توفي آقسنقر في عام (٤٨٥هـ) كان ابنه عماد الدين زنكي في العاشرة من عمره، يعيش في حلب يربيه موالي أبيه، فذاق في هذه السن المبكرة مرارة اليتم، وزاد من ألمه على صغر سنه أن أباه لم يكن أي قائد بل كان الذي وصفه ابن واصل – أحد كتاب التاريخ ممن عاصروه – بأنه: «ذا وفاء عظيم، وحسن عهد، ومروءة غزيرة، وإنما كان قتله وفاء لسلطانه ملكشاه، وحفظًا لولده بركياروق من بعده».

وعندما استولى كربوق على الموصل عام (٤٨٩هـ) باسم السلطان بركياروق أعطى زنكي اهتمامًا خاصًا، وقال:

«إنه ابن أخي، وأنا أولى الناس بتربيته».

ذاق زنكي مرارة اليتم، وفهم بعد قليل من هم قتلة أبيه، ولماذا؟ وأدرك كربوق القائد أن زنكي سوف يفيده في حروبه مع المماليك رغم أن سنه لم يتجاوز الرابعة عشرة؛ وبسرعة أصبح لزنكي مكانة كبيرة في أتباع الموصل حتى توفي كربوق عام (٤٩٥هـ).

وبعد كربوق تولى شمس الدولة جاميش حكم الموصل، وقد كان أحد مماليك ملكشاه؛ ولذلك فقد كان يعلم جيداً الخدمات التي قام بها آقسنقر، فقرب زنكي إليه، وأحبه، وأعزه، ولكنه سرعان ما توفي عام (٥٠٠هـ)، وكان عمر زنكي (٢٥) عامًا، وتنفتح صفحة جديدة في حياته.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع

بطولة مبكرة

وعي وإدراك:

لم ينشأ زنكي كغيره من الشباب، ولم يغب عن باله للحظة المصير الذي لاقاه أبوه، ولم ينس أنه مات قتيلاً بعيداً عن بلده، في معركة تمكن فيها تتش أخو السلطان ملكشاه من أسره وقتله، ولعل زنكي كان يعرف في قرارة نفسه أن سبب قتل أبيه غير المباشر هو تشتيت المسلمين وفرقتهم، وخروج بعضهم على بعض وقتالهم لبعض، على الرغم من أن عدوهم الأساسي الصليبين هم الوجه الآخر للبيزنطيين الذين هزمهم المسلمون.

حال مؤسف:

ولكن هذه الجماعات المتفرقة التي خرجت من غالة (فرنسا) والنمسا وإيطاليا وألمانيا وهنغاريا، هؤلاء جميعًا، لا تجد شيئًا يجمعهم إلا التوحد على حرب الإسلام والمسلمين، وبعده الاستيلاء على ما في بلاد المسلمين في المشرق العربي، وهي بلاد تذكرها كتبهم المقدسة حيث، تقول: إن بلاد المسلمين في المشرق العربي تفيض لبنًا وعسلاً؛ ولأن هؤلاء الجند ليسوا أهل حضارة أو مدنية؛ ولأنهم همج لم يفكروا إلاّ في تلبية شهواتهم حينما

وقف إرجان الثاني – وهو الرئيس الرسولي لكرسي روما – يحمسهم قائلاً قبل خروج الحملة الصليبية الأولى:

كلمات لا معنى لها:

أيها الإخوان يجب عليكم أن تتعذبوا كثيراً من أجل اسم السيد المسيح، وتتحملوا المشقة والفقر، وتكابدوا الحفاء والاضطهاد والذلة والمرض والجوع والظمأ وما شاكلها من الشرور كما قال السيد لتلاميذه:

«سأريكم كم ينبغي أن تتألموا من أجل اسمي» أو كما قال أيضًا: «إنكم ستأخذون ميراثًا عظيمًا».

نلاحظ في كلمات الرجل أنه ذكر الصبر على التعب الشديد، من سير بلا نعل أو حذاء، والذل والمرض والجوع وشدة العطش وما شابه ذلك من ظروف، ولكن لماذا يفعلون كلّ هذا؟ ما الهدف؟

فوضى وهمجية:

وفي الحقيقة فإن هؤلاء الجنود الذين خرجوا وهم لا يعرفون لخروجهم سببًا سوى التدمير، والتحطيم، وأخذ كل ما تصل إليه أيديهم، وبعيداً عما سوف يفعلونه في سبيل ذلك، فإن هذه الآلاف الكثيرة لم تفرّق حينما خرجت بين البلاد وأهلها، فهم يسيرون إلى بلاد الإسلام: ولكن هذا لم

يمنعهم من تخريب بعض المدن المسيحية، ثم إشعال النار فيها، بل خلع الرصاص الذي تغطى به الكنائس وحمله لبيعه لأهل بلد آخر.

وللأسف ففي خلال أقل من عشر سنوات فقط بدءاً من عام (٤٨٩هـ) حتى عام (٤٩٨هـ) تمكن هؤلاء من الاستيلاء على أجزاء واسعة من بلاد الشام والجزيرة، وأنشؤوا فيها أربع إمارات: «الرها – أنطاكيا – بيت المقدس – وطرابلس»

خطر شديد:

وبينما كان المسلمون مشغولين بنزاعاتهم الداخلية أصبحت هذه الإمارات الصليبية الأربع تشكل خطراً شديداً عليهم، وأخذ الخطر يزداد يومًا بعد يوم، بينما الدولتان الفاطمية في مصر والعباسية في بغداد أضعف من أن تواجه خطرهم، والسلاجقة لم يكونوا على أتم الاستعداد بعد.

واستغل هؤلاء الغزاة الهمج الفرصة، وسعوا جاهدين إلى توسيع سيطرتهم في المنطقة وإرغام سكان البلدان التي تجاورهم على تنفيذ أوامرهم، فكانت سراياهم تخرج وهي عبارة عن جيوش صغيرة فتبلغ البلاد المجاورة، فتصل إلى أمد ونصيبين ورأس العين.

أما الرقة وحران فكانتا تعيشان على الخوف من استضعاف الصليبيين

لهما وبالتالي هجومهم عليهما، وبذلك انقطعت الطرق إلى دمشق إلا من خلال منفذين «الرحبة وبادية الشام» وصار التجار والمسافرون الذين يريدون العبور من خلال بلاد الشام لا يأمنون لا على أنفسهم ولا على أموالهم من هؤلاء الهمج الذين لم يرحموا أحداً.

المسلمون يدفعون إتاوة:

لقد انقلبت الآية، فبدلاً من المال الذي يدفع للمسلمين من غير المسلمين في سبيل الدفاع عن بلادهم وتأمين حدودهم إن لم يرد أصحاب هذه البلاد الدخول في الإسلام صار المسلمون هم الذين يدفعون مبلغًا من المال إتاوة؛ ليسكتوا هؤلاء ويكفوا عن مهاجمة البلاد التي تحت قبضتهم.

البحث عن بطل:

وتلفتت الدنيا كُلُّها تبحث عن سادة العالم المسلمين، أصحاب الخلق والقوة، وهي، تتمنى على الله أن يخرج بطلاً منهم يوقف هذه الفوضى، ويعيد الأمور إلى حالها الصحيح، ولم يكن هذا البطل بعيداً، فإن كانت الظروف السياسية والعسكرية في جزء مهم من بلاد المسلمين في الجزيرة والشام تستوجب التصرف ومواجهة الصليبيين، فإن الدقة في مثل هذا الوقت الشديد الحرج مطلوبة، حتى لا يكون التصرف غير مناسب فيزيد

الأمور سوءاً، والتصرف بدقة يتطلب فهماً وإدراكاً لما يحدث، ومعرفة جيدة لخريطة هذه البلاد...

وقد أتاح الله عز وجل لزنكي أن يحيا بعد فقد أبيه، ويفكر فيما يجري حوله بعمق، يرث صفات الفارس الشديد الإخلاص لقادته، ولكن أمام عينيه النهاية التي لاقاها أبوه، يتمنى أن يأخذ بثأره لا من قاتله، فلقد لقي مصيره ومات، ولكن من أولئك الذين يعملون على فرقة المسلمين حتى لا يقووا على مواجهة الصليبيين.

معرفة مبكرة:

وشاءت العناية الإلهية أن يتجهز زنكي لهذه المكانة، وأراد الله أن يطلعه على خريطة المعارك، فلم يمض وقت طويل من الاختلاف بين حكام السلاجقة حتى جاء عام (٥٠٥هـ) حيث عين السلطان السلجوقي قائداً اسمه مودود بن التونكي والياً على الموصل، أمره بمواجهة الصليبيين في الشام.

كان الهجوم الإسلامي يستهدف تحرير مدينة الرها، إلا أن صمودها اضطر مودوداً إلى أن ينسحب بقواته وفيهم زنكي إلى موضع أقل قوة، فمروا بـ «تل باشر» فلم يجدوه كذلك، وانتهى الأمر بهم عند بلدة معرة النعمان، حيث فرضوا الحصار عليها لينضم إليهم بعض أمراء البلاد المحيطة

بها، وفي مقدمهم حاكم دمشق (طغتين)، ولكنه خان العهد فأرسل الرسائل إلى الصليبين طامعًا في المكاسب القليلة الزائلة التي ستعود عليه من وقوفه إلى جانبهم؛ ولذلك طلب الصلح، وكان من نتيجة فعلته هذه أن فشلت حملة المسلمين في الاستيلاء على المعرة، وإلى تراجع معظم أمرائها عن الحصار، وهم الذين كانوا يساعدون مودوداً فضعفت نفسه، وفك الحصار وعاد.

هجوم جديد:

كانت محاولة الحصار السابقة فرصة لزنكي الشاب القوي لكي يتعرف على مواقع البلاد الإسلامية الواقعة تحت سيطرة الصليبيين على حقيقتها، وكذلك لكي يرى الحصون على الطبيعة؛ ولذلك كانت فرصة أخرى بعد مرور أقل من عامين اتفق من جديد مودود وطغتين، وعقدا تحالفًا على الهجوم على الصليبيين من جديد، كأنما أراد طغتين التكفير عن خطئه السابق، واستمرت المعارك بين المسلمين والصليبيين مدة أسابيع طويلة، لكن دون نتيجة حاسمة لحساب أحد الفريقين.

وجاء فصل الشتاء والفريقان على الحال نفسه، وحلَّ البرد، فرأى الحليفان مودود وطغتين أن يعودا إلى دمشق حتى يأتي الربيع!.

ولم يكن مودود يعلم أنه يذهب إلى قدر قدره الله له، إذ إنه اغتيل في العام نفسه على يد جماعة خرجت على المسلمين سمَّت نفسها بالباطنية.

واختار السلطان السلجوقي من بعده آقسنقر البرسقي ليقاتل الصليبيين وأمده بالجند وجهزه، وأصدر أوامره إلى قوات الموصل للسير معه، فكان زنكي من أبرز الذين ساروا معه، وقد كان حتى هذا الوقت قد وصل إلى مكانة غير قليلة الأهمية في محاربة الصليبيين.

ووقفت قوات أقسنقر أمام «الرها» مرة أخرى، إلا أن قدرات الصليبيين في الدفاع عنها أرغمت آقسنقر على التراجع فرحل إلى سميساط، وقام من هناك بمهاجمة وتخريب عدد من المواقع الصليبية، ثم عاد إلى بغداد.

تاريخ مشرف:

على الرغم من أن انتصار المسلمين على الصليبيين لم يتحقق في المعارك التي خاضها زنكي، إلا أنه قد تمكن من فهم طبيعة الأمور جيداً، ويكفي أنه منذ البداية في عام (٥٠٥هـ) حينما سار مودود لقتال الصليبيين كان زنكي هو الوحيد ضمن الجنود الذي ظهر اسمه..

أما في عام (٥٠٧ هـ) حينما تحالف مودود مع طغتين فقد أظهر زنكي من الشجاعة الشديدة ما يصفه أحد كتاب التاريخ بأنّه لم يسمع الناس به من قبل.

أما في جيش (آقسنقر) حينما انضم إليه زنكي كان قد أظهر من الشجاعة ما لا يوصف.. وفي هذه المعارك وفقه الله ليقف في جميع فرص القتال وقفة البطل الشديد الذي لا يخشى عدوه، حتى إن العساكر كلها عادت، وهي تتحدث بما ظهر من شجاعته..

والآن ماذا عن صفات هذا البطل القادم الذي أعده الله تعالى ليكون نقطة البداية الحقيقية في محاربة الصليبيين، وليكون الرجل الذي أعده الله لإنقاذ المسلمين؟!!

obeikandl.com

الفصل الخامس

مرحلة مهمة في حياة زنكي

شخصية زنكي:

كان عماد الدين زنكي يتمتع بحسن الصورة، واعتدال القامة، وملاحة العينين، وسمرة اللون.

كما أنه تميز بشخصية قوية مكنته من أن يقوم بدوره، فهو شديد الهيبة، محترم في قلوب جنده، لا تراه إلاّ جادًّا لا يستسلم للراحة أو الرفاهية،بل يواصل الكفاح من أجلِّ أهدافه، ويجعل صدى صوت السلاح في نفسه من أجلِّ الأصوات!!

أما عن شجاعته، فقد قيل عنها: «إليه النهاية وبه كان يضرب المثل».

وقد ظهرت شجاعته هذه في الكثير من الحروب التي اشترك فيها ولم يكن أحدٌ يستطيع أن يغامر فيقف أمامه في حرب.

ومع حسن مظهره وسمرة لونه الذي يشهد له بالفروسية وطول البقاء تحت الشمس في ميدان القتال حيث أشعتها الشديدة مسلطة على الأبطال ومع قوة شخصيته كان زنكي صاحب دهاء ومكر وحيلة وذكاء شديد في مواجهة المشاكل التي يتعرض لها أثناء الحروب، وكذلك في المواقف

السياسية، وقد تمكن بفضل ذلك من اجتياز الكثير من الصعوبات، التي قد تثقل كاهل غيره، فلا يستطيع التصرف فيها.

مستشار الوالي:

زاد مكانة عماد الدين زنكي لدى المسلمين خاصة بعدما سمعوا أخبار فدائيته في الحروب التي خاضها ضد الصليبيين، بل وسُمّيَ زنكي الشام، اعترافًا ببطولته في بلاد الشام، وتمييزاً له عن محارب آخر كان في زمنه، وكان يُسمى زنكي بن برسق، كما أن السلطان محمد السلجوقي قدّر كفاح زنكي، وأراد أن يجعل له مكانة خاصة؛ لذا طلب من واليه على الموصل تقديم زنكي على غيره، والرجوع إلى مشورته في الأمور المهمة تقديراً لإخلاصه وقدراته ومواهبه.

موقف زنكي من الخلافات بعد وفاة السلطان:

لم يمض وقت طويل حتى تُوفي السلطان محمد، فسعى أحد القادة الذين كانوا يأخذون الأوامر منه إلى تولية نفسه بعده، وكان من المعروف في مثل هذه الحالة أن يتولى ابن الراحل أمور السلطنة، وهكذا استغل، جيوش القائد الفرصة خاصة وأن له ولداً اسمه مسعود من كبار رجال السلطنة، وقدَّر أنه يستطيع تولية نفسه سلطانًا على سلاجقة الشام.

والحقيقة أن زنكي أيده في البداية، ولكن المحاولة فشلت مما جعل زنكي يفكر قبل أن يتخذ قراراً بالمشاركة في الخروج على السلطان السلجوقي محمود الذي تولى بعد أبيه محمد، فعندما عرض جيوش على زنكي بعد ثلاث سنوات الخروج على السلطان الجديد مرة ثانية رفض، بل أشار عليه بطاعة السلطان، إلا أن جيوشًا استمر في المحاولة، حتى هُزِمَ على يد السلطان.

وبلغ السلطان موقف زنكي، فقدره، وأوصى والي الموصل الجديد بالاهتمام به، وهكذا عندما عُين (البرسقي) في منصب مهم بالعراق عام (٥١٦هـ) رافقه زنكي، واشترك في الحروب التي دخل فيها ضد أمير (الحلة، وهي إحدى البلاد القريبة التي ناوأت البرسقي وانتهت المعركة بهزيمة البرسقي، الذي لم يرد الاستسلام للهزيمة، فقرر أن يُعين زنكي كأمير على بلدة واسط ذات الموقع المهم، فهو يعرف قدرات زنكي ويريد منه أن يكون حاكمًا قويًّا على واسط يمنع هجمات أمير الحلة عليها، وعلى ما وراءها من بلدان هو فيها، وبالفعل استطاع زنكي أن يهزم في طريقه إلى واسط القوات التي جمعها أمير الحلة للدفاع عن المواقع القريبة منه، والتي خطط هو الآخر، وأراد مثلما أراد البرسقي أن تحميه، إلا أن زنكي استطاع سحقها، وبالتالي استولى عليها.

وهكذا ظهرت مكانة زنكي العسكرية، وذكاؤه في اتخاذ القرار المناسب مما جعل السلطان السلجوقي يُوصي به حاكم الموصل، وأيضًا ابنه محمود من بعده. وزنكي كما ظهر من مواقفه يستفيد من التجربة استفادة كبيرة، فهو عندما اشترك مع جيوش في محاولته للخروج على السلطان محمود الجديد ولم ينجحا لم يكرر التجربة ثانية، بل كان بعيد النظر حيث أوصى جيوشًا نفسه بعدم الخروج، وعدمُ طاعة الأخير له أدت إلى أن يُهزم جيشه، وحسن تصرف زنكي كان من نتائجه أن يتقرب إلى حاكم الموصل من جديد، وأن يُظهر كفاءة وجهدًا جعلته يُعين حاكمًا لواسط ذات الموقع الشديد الحساسية، وتولى زنكي مكانه الجديد، وكانت واسط تعاني من خطر آخر غير خطر أمير الحلة، إذ كان الأعراب الذين يسكنون فيما حولها يهجمون عليها من وقت إلى آخر، فاستطاع أن يعيدهم من حيث أتوا إلى أعماق الصحراء، مما شجع رؤساءه على تعيينه واليًا للبصرة، بما تمثله من أهمية خطيرة، فاستطاع زنكي أن يُظهر تفوقًا آخر، وفي زمن قصير، وحسن إدارة، وقوة عسكرية حمت البلد، وجعلت أصدقاءه يفخرون به، أما أعداء السلطان السلجوقي فقد خافوه خوفًا شديدًا، حتى إن ديبس بن صدفة – وهو أقوى أمراء الجنوب – ابتعد عنه ولم يدخل في نزاع معه، بل فضّل محاربة الخليفة في بغداد.

نصر جديد لزنكي:

لم يُرد زنكي، ولم يرد برسقي أن يتركا الخليفة بمفرده أمام هجمات ديبس بن صدقة الذي ظن أنه سوف ينفرد به؛ ولذلك فقد جمعا قواتهما، والتقيا به في بداية عام (٥١٧هـ) قريبًا من الحلة، واستطاعا أن يذيقاه هزيمة مُرة، وأخذ الكثير من جنده أسرى، واضطر ديبس ومَنْ نجا من قواته إلى الهرب.

كان الخليفة المسترشد خليفة المسلمين قد ترك بغداد عندما علم بسير ديبس إليها، فلما انتصرت قوات زنكي وبرسقي عليه عاد الخليفة ومَنْ معه إلى بغداد لينظم احتفالاً كبيراً له ولقواته بعد أن خلصوهم من خطر شديد كان سيعرض بغداد لمصائب عظيمة، وتخريب ونهب.

ومن الأشياء الجميلة التي عُمِلَ بها في تلك الفترة اتفاق السلاجقة مع الخليفة على وقف عبث أمراء الجنود بأرواح الناس، وكان من ترتيب العناية الإلهية تفوق ونبوغ زنكي في القتال كي يخيف هؤلاء الظلمة، فلقد انسحب ديبس من بغداد ليهاجم البصرة في عدم حضور زنكي أميرها، فلما علم برجوعه، انسحب إلى الشام، حتى إن زنكي عندما ترك البصرة وفضل الذهاب إلى حاشية السلطان محمود في أصفهان صارت الأمور في البصرة إلى أسوأ ما يمكن أن تكون، فهي مسرح للفوضى، فالبلدة عرضة

لعمليات النهب، وهجمات الأعراب عليها وأخذ خيراتها، لا يأمن الناس فيها على أموالهم وأشيائهم، كُلُّ ذلك لأن زنكي قد غادر البلدة.

ولما وصل الخبر إلى السلطان السلجوقي الذي كان قد قرب زنكي إليه، وزوجه من أرملة أحد كبار القادة، وعرفه بكبار رجال الدولة، لما وصل إلى السلطان ما وصل إليه حال البصرة بعد مفارقة زنكي لها أعاده إليها، بعد أن أقطعه إياها أي جعل له مطلق الحرية في التصرف فيها بما يعيد إليها الأمن مرة أخرى، كان ذلك عام (٥١٨هـ)، وعاد زنكي إلى البصرة فأحسن معاملة أهلها، ولم يشعرهم – وقد أقطعه السلطان بلدهم – أنه صار مالكًا لها، بل أعاد تنظيم قوة البلدة العسكرية، بحيث أوقف هجمات الأعراب، بتنظيم دوريات عسكرية لا تنتظر حتى يهجموا على البلدة، بل تهجم هي عليهم متخذة شعار الهجوم خير وسيلة للدفاع، وبذلك تفرقت قوات الأعراب، فلم يفكروا في الهجوم على البصرة، ولم يغفل زنكي أمور واسط بل اهتم بها هي الأخرى في نفس الوقت، وكان الأمن الذي انتشر في البلدين في وقت واحد بمجرد عودة زنكي إليهما مثار احترام السلطان الذي فكر في توليته منصباً أهم وأخطر.

أمور محزنة:

في عام (٥١٩هـ) تدهورت العلاقة بين الخليفة المسترشد والسلطان

محمود السلجوقي الذي رأى أن عليه أن يتوجه بنفسه إلى بغداد للحد من مطامع الخليفة الذي أراد الاستيلاء على واسط لولا أن وقف زنكي له ومنع قواته من دخولها. بالفعل وصل السلطان إلى بغداد في العشرين من ذي الحجة، وطلب من الخليفة إقرار الصلح له، فرفض الأخير، فما كان من السلطان إلا أن أعلن الحرب عليه، وأرسل يستدعي زنكي، ويأمره بأن يأتي معه بما يستطيع من قوات برية وبحرية، وبالفعل نفذ زنكي الأمر، بعد جولة قام بها في مناطق العراق الجنوبية، وأقبل بقواته وحينما وصل الخبر إلى الخليفة المسترشد علم أن بغداد مقبلة على حصار شديد، وخاف نتائج المعركة القادمة، فوافق الخليفة على الصلح، وكان لزنكي دور خطير في منعه شرًّا كبيراً يصيب بغداد والمسلمين في وقت هم أحوج فيه إلى التوحد لا أن يحارب بعضهم بعضاً.

وقبل عودة السلطان اتخذ زنكي قراره بأن يتولى أمور حفظ الأمن، والتصرف باسم الخليفة في العراق كي يحفظها كما حفظ البصرة من قبل زيادة على ما لدى زنكي من الإقطاع والبلاد، وكان ذلك في العاشر من ربيع الآخر عام (٥٢٠هـ).

وفاة حاكم الموصل والبحث عن بديل له:

وفي عام ٥٢١هـ توفي عز الدين مسعود بن البرسقي والي الموصل،

وتولى ابنه الصغيرمن بعده، ولم يكن يجيد أمور الحكم، فكان (جاولي) – أحد الكبار المحيطين به – هو الوصي عليه، وقد أدرك كبار رجال البلدة والقادة أن جاولي لن يعدل، ورأوا أن الظروف خطيرة، وأدركوا أن بلدهم صارت عرضة لهجمات الصليبيين، والبرسقي كان يقف ضد هذه المحاولات، وابنه لا يزال صغيراً ولابد من أمير قوي متمكن يقوم مقام أبيه، لذلك اتجه وفد منهم إلى دار الوزير السلجوقي أنو شروان بن خالد، فأوضحوا له حقيقة الأمر، فلم ينتظر، وإنما سار إلى السلطان فشرح الأمر له، فلم يتردد في تولية القائد البطل الذي رشحه أهل البلدة للدفاع عنها وعن الجزيرة والشام كلها ضد الصليبيين، وإلا عمَّ الجميع غضب الله لتفريطهم في حقوق المسلمين على حد تعبير الوفد الذي رشح للمهمة خير من يقوم بها: عماد الدين زنكي، فما كان من السلطان إلا أن وافق عليه.

وفي الثالث من رمضان عام (٥٢١هـ) غادر زنكي عاصمة العراق متجهاً إلى الموصل مستقبلاً مهمته الصعبة الجديدة:

صعوبات في الطريق:

قابلت زنكي صعوبات من جراء طاعته للدولة السلجوقية ضد الخليفة في بغداد، وتطور الأمر إلى حرب كما في محاولة عفيف الخادم الاستيلاء

على واسط لحساب الخليفة المسترشد، وقيام زنكي بالدفاع عنها عام (٥١٩هـ)، وأيضًا وقوف زنكي إلى جوار السلطان ضد المسترشد حينما رفض الصلح معه، ولولا خوف الخليفة من قوة زنكي لحدث ما لا يحمد عقباه، وفي الحقيقة فإن هذه الصعوبات الناتجة عن تفرق المسلمين وعدم وحدة كلمتهم قد قابلت زنكي حتى بعد توليته ولاية الموصل زيادة على البلاد التي حكمها من قبل، نظراً لخلافات قديمة تصفي طلب سنجر عم السلطان محمود إبعاد زنكي، وتولية ديبس الذي هاجم بغداد من قبل، ولولا تدخل زنكي مع برسقي أمير الموصل السابق لدخلها بالقوة، الأمر الذي جعل الخليفة يحتج، وجعل أهل بغداد يتظاهرون خوفًا من أن يدخل ديبس بلدهم صلحًا فينهبها أيضًا، وكذلك أرسل الخليفة يقول للسطان:

« ديبس أعان الفرنجة ضد المسلمين فكيف توليه ».

إنه يذكرهم بمساعدته للصليبيين في حصار حلب، ولولا أنَّ زنكي سار بنفسه إلى السلطان وأعلن رضاه بالقرار وإحساسه بالمسؤولية لمواجهة الصليبيين لما اقتنع السلطان، ولما أعطاه كتابًا آخر يؤكد موقفه من توليه الموصل في نفس عام تعيينه عام (٥٢١هـ)، ليطمئن زنكي في آخر أيام محمود فقط، إلا أنه منذ عام (٥٢٦هـ) خسر العلاقة الجيدة مع السلطان بوفاة محمود، ودخل في سلسلة من الصراعات أشد من تلك التي ذكرناها،

ووصل الأمر إلى أن السلطان الجديد مسعود حاول قتله باستدعائه إلى أصفهان، وكأنه يريد مناقشته، ثم يتخلص منه، وهكذا لم تكن مصالح المسلمين تهم بعض القادة، بل مصالحهم الخاصة هي الشغل الشاغل، حتى وإن وصل الأمر إلى قتل أمير له شأن خطير في مقاتلة الأعداء الصليبيين، وهكذا تقلبت الأمور ومعها زنكي الذي لم يكن على صواب في مواقفه كلها، وإنما الذي يهون عليه أنه كان مجبراً أحياناً، يعرف طبيعة الأمور، والسياسة تتقلب بالقادة كثيراً، وأنه كان يجتهد وغرضه الأساسي الوصول إلى مرحلة يستطيع فيها التفرغ لقتال عدوه وعدو المسلمين الأساسي الصليبيين، يعذر زنكي لأنه من قادة المسلمين الشباب بعد طغتين، ومودود، وآقسنقر، الذين فكروا جدياً في قتال الصليبيين.

obeikandl.com

الفصل السادس
البطل يواجه الصليبيين

مكانة مميزة:

شارك زنكي في قتال الصليبيين منذ وقت مبكر، فبعد دخولهم بلاد المسلمين بستة عشر عامًا، كان زنكي ممن يواجهونهم ضمن قوات مودود ابن التونكين.

كان زنكي وقتها جنديًا أظهر الكثير من المهارات، وأيضاً رأى قدرات أعدائه الذين كانوا قد استطاعوا أن يُكونوا إمارات أربع قبل أن يواجههم المسلمون، فهم في خلال فترة الغفلة أخذوا الرها وأنطاكية، وبيت المقدس. وطرابلس، وقد تدهور حال المسلمين إلى درجة جعلت الصليبيين يطمعون في أكثر من ذلك!!

لكن السلطان محمد السلجوقي أحسن صنعًا حين اتخذ قرارًا تاريخيًّا مهمًّا بتعيين زنكي على الموصل والجزيرة عام (٥٢١هـ) وأيضًا ما يفتتحه من بلاد الشام، كي يسد هذه الثغرة القوية العميقة التي تهدد بشرخ خطير في بلاد الإسلام، وكيف لا؟ والخطر الشديد على حدود العراق الغربية فجاءت تولية زنكي مناسبة تمامًا، لا سيما أن (طغتين) حاكم دمشق توفي في العام

الذي يليه (٥٢٢هـ) وكان الصليبيون يخافونه، فلطف الله ببلاد المسلمين، وجاء زنكي الذي بدأ يكوِّن شخصية مختلفة لنفسه تساعده على قتال أعدائه، وبعد أن يطيع السلطان السلجوقي طاعة مطلقة صار قوة لها تأثيرها، فهو لا يتبع نظام الولاء الكامل، وهو يستغل تذمر بعض الخلفاء العباسيين لضرب هذه السيادة، ورغم خطورة سياسية زنكي هذه إلا أنها كانت الطريق الوحيد أمامه للوصول إلى هدفه الصعب، وهو توحيد ما يستطيع من البلاد والإمارات في مواجهة العدو، وكانت هذه السياسة مهمة كي لا ينهمك زنكي تمامًا في النزاعات الداخلية وينسى الخطر الأكبر الذي ينتظر المسلمون منه أن يواجهه، بينما هو لا يستطيع الفكاك من المعارك الداخلية.

سيف الغدر:

لم يوجه زنكي قدراته منذ البداية نحو الصليبيين، فالإمارات الصغيرة المتوزعة حول البلاد التي أخذوها تمثل نقاط خطر تمنعه من إعلان الجهاد العام ضد الصليبيين، بالإضافة إلى أن المصالح الخاصة لأمرائها ومنافساتهم المستمرة التي كانت تمنع تشكيل جبهة واحدة ضد الأعداء، ثم إن هؤلاء يمثلون خطرًا شديداً على زنكي نفسه في حالة إعلانه الحرب وتقدمه، إذ إنه ساعتها لن يلقى عدوه فقط، بل قد يُفاجأ بغدر هؤلاء من خلفه، كما أنهم

قد يعقدون اتفاقية مع الصليبيين ضد القائد المسلم الذي ينتمي إليهم، ويعمل لمصلحتهم... وهكذا كان حال بعض الأمراء في ذلك الوقت، وزنكي مثله مثل أي قائد ناجح... لقد فكر طويلاً وعلم أنه لن يستطيع محاربة عدوين قويين في الوقت نفسه؛ ولذلك قرر تحييد أحدهما.

خطوة ذكية:

وفي سبيل تحقيق أهدافه قام زنكي بمراسلة جوسين أمير الرها، وعقد معه صلحًا مؤقتًا، واعتبر زنكي ذلك فرصة يتفرغ فيها للاستيلاء على بقية بلاد الشام التي في أيدي أمراء متفرقين، وكذلك بلاد الجزيرة حتى يعطيها لأمراء مخلصين يكونون خط رجعة قوية له ولا يخونونه، فإذا ما اضطر للتراجع وجدهم فيحتمي بهم بدلاً من أن يحارب عدوه أو أمراء خائنين!

وهكذا بدأ زنكي حلم الطريق الطويل، وفي عام (٥٢٢هـ) استطاع دخول حلب، وخرج أهلها الذين يدركون جيداً ما لم يفهمه بعض الأمراء من خطورة الوضع، خرجوا لاستقباله، واستراحوا من هجمات الصليبيين على المناطق الزراعية المحيطة بمدينتهم.

وانطلق زنكي مستغلاً الهدنة، محاولاً الانتشار فيما حوله من مدن.

وفي عام (٥٢٤) كادت إمارة أنطاكية الصليبية تُسلم لظروف صعبة

مرت بها، إذ تُوفي أميرها «بوهيمند الثاني» على يد سلاجقة آسيا الصغرى ، فأرادت زوجته تسليم الإمارة لزنكي لولا أنها فشلت، وقُتِل الرسول الذي كان سيبلغه، وهكذا لم يشأ الله تحقيق هذا الأمر في هذا الوقت... ولكن في العام نفسه عوض الله سبحانه وتعالى زنكي، إذ انتهت معظم مشاكله مع أمراء ديار بكر الذين كانوا يشكلون خطراً شديداً على ظهره إن بدأ بمحاربة الصليبيين..!!

وهكذا مع نهاية الهدنة كان زنكي قد حقق هدفه في حماية ظهره، وجاء الوقت المناسب للهجوم في ظل ظروف طبيعية!!

الهجوم:

من خلال سيطرته على حلب قام زنكي بالهجوم على ما يجاور حلب من البلاد، وقد تنبه أعداؤه إلى تزايد خطره على ممتلكاتهم في الشام وضرورة توجيه ضربة حاسمة إليه، وراحوا ينتظرون هذه الفرصة بفارغ الصبر.

وفي عام (٥٣١هـ) بينما كان زنكي منشغلاً بحصاره لحمص في محاولة منه لضمها إلى حلب، قام الصليبيون بحشد جيش كبير تقدموا به وفي نيتهم مفاجأته وكسب حكام الشام إلى جوارهم، وبذلك يهجمون عليه من ناحيتين، وعلم زنكي بخبرته الحربية بخطتهم، فسار للقائهم بعيداً

عن حمص حتى يُبطل خطتهم، ورأى أن خير طريقة يحاربهم بها أن يظهر رغبته في مهاجمة حصن بعرين القريب، وكان الصليبيون قد استولوا عليه.

وهكذا رأى زنكي أن الهجوم خير وسيلة للدفاع، كعادته في الحروب، وما إن تقدم نحو الحصن حتى تقدم إليه العدو بقيادة «فولك» ملك بيت المقدس، و«زيموند كونت طرابلس» ودارت بين الطرفين معركة شديدة، أظهر جيش زنكي مهاراته، ووقف في قوة وشجاعة خلف قائده يدافع عن دينه ونفسه، ولم يطل الوقت حتى انتصر المسلمون، وقُتلَ عدد كبير من جنود العدو وقواته، وأسرَ بعضهم، وتمكن القليلون منهم من الهرب.

اتجه الهاربون من جيش الصليبيين إلى أوربا طالبين النجدة، ومحذرين من أن زنكي إذا ما حصل على الحصن واستمر في التقدم فإنه لا يريد إلا تحرير بيت المقدس منهم، وكان أن جمع العدو جيشًا كبيرًا من الصليبيين والبيزنطيين لمحاربته، فما إن علم زنكي بذلك حتى شدد الحصار على الحصن، مما أدى إلى تناقص السلاح، وقطع المساعدات عنه.

وقد اضطر أصحاب الحصن إلى طلب الصلح من زنكي، فاشترط عليهم تسليمه، ودفع خمسين ألف دينار تساعده على متابعة حروبه، فأجابه أصحابه ووافقوا على طلبه فأحسن معاملتهم.

نجدة عاجلة:

بعد قليل من هذا النصر اتجه زنكي بقواته جنوبًا، وكان يريد أن يوحد الجبهة الإسلامية في قلب بلاد الشام، ولكن سلطان بن علي الكناني حاكم شيزر القريبة أرسل يستنجد به من العدو الصليبي الذي تقدم حتى استولى على حصن بزاعة القريب من حلب، وبعدها أخذوا بلدة (معرة النعمان) وبدؤوا يخططون لأخذ شيزر، وحاصروها بالفعل وكانوا يريدون من ذلك السيطرة على الحصن وبخاصة وأنه يقع على نهر العاصي، ويقف سدًّا أمام أهداف زنكي في تحرير بلاد المسلمين من أيديهم.

استجابة زنكي:

سار زنكي إلى الحصن بحيث يراه ملك الروم، وكان زنكي يرسل قواته فتخطف من يخرج من عساكر ملك الروم للنهب، وأراد القائد المسلم خداع ملك الروم، فأرسل يقول له:

« إنكم قد تحصنتم بهذه الجبال – المحيطة بشيزر – فاخرجوا عنها إلى الصحراء حتى نلتقي فإن انتصرتم أخذتم شيزر وغيرها.

وإن ظفرنا بكم أرحنا المسلمين من شركم ».

نجاح خطة زنكي:

ونجحت خطة زنكي، ورفض «كومنين» قائد العدو السير لمحاربته كما أشار عليه أتباعه، وخيل إليه أن زنكي الذي أرسل إليه هذه الرسالة لديه من القوات الكثيرة وإن لم يكن قد أظهر هذا أمامه في ساحة المعركة.

ولم يكتف البطل المسلم بذلك بل راح يراسل صليبيي الشام ويحذرهم من أنه في طريقه إليهم، بل يراسل الصليبيين أنفسهم موهمًا إياهم بأن طرفًا منهم معه، فشكوا في أنفسهم، خاصة وأن منهم ما لم يكن يريد التعاون مع الآخر..

ولعوامل أخرى تتعلق بضعف نفوسهم لم تتوحد جهودهم لفتح شيزر.

وفي الوقت نفسه راح زنكي يطلب المساعدات العسكرية من بلاد العالم الإسلامي المختلفة.. من بغداد ومن السلطان السلجوقي.. ومن سلاجقة آسيا الصغرى يقترح عليهم مهاجمة مواقع الأعداء هناك، فيصرفهم إلى تلك البلاد.

وجاءت الأخبار بنجاح محاولاته حتى إن أمير حصن كيفا الأرتقي أرسل ابنه على رأس جيش كبير، كما أن قوات دمشق تحركت لمساعدة زنكي.

المفاجأة:

أمام كل هذا خاف الإمبراطور خناكومنين وقرر الانسحاب بعدما عرض عليه أمير حصن شيزر مبلغًا من المال يدفعه سنويًا له، كنوع من التبعية، وقاد حنّا القوات المسيحية في طريقه إلى أنطاكية، حيث كانت المفاجأة التي لم تكن تخطر له على بال تنتظره، إذ هجم البطل بقواته عليه، وهزمه هزيمة منكرة وأخذ أدوات حربه الثقيلة لصالح المسلمين كي يستفيدوا منها، فلم يجد حنّا مفرًا من الهرب، فأرسل زنكي خلفه من قتله، وأسر عددًا كبيرًا من قواته.

وفي الوقت نفسه قام في أنطاكية نزاع بين الصليبيين والبيزنطيين الذين كانوا يعبرّون عن الحقد القديم ضد الإسلام.

وهكذا قدر الله، لهم عدم اتخاذ قرار مناسب بالتوحد ضد زنكي الذي اتسع نشاطه الحربي، وفي الأيام التي جاءت بعد انسحاب المتحالفين الصليبيين والبيزنطيين استطاع حاجب زنكي صلاح الدين الياغسياني أن يأخذ «لغرطاب» بعد أن علم بهرب العدو.

واستطاع زنكي نفسه فتح حصن عرقة بالقوة، وأمر بتخريبه بعدما أسر الذين كانوا فيه من الصليبيين والروم عام (٥٣٣هـ) ثم حاصر «الأثاوب»

أيضًا وتمكن من فتحها في صفر، وعاد إلى الموصل.

وانشغل زنكي في الفترة التالية بتوحيد جبهة المسلمين، فقام بعمليات عسكرية وسياسية في بعض جهات الجزيرة ويريد أن يضمها لإمارته، ثم عاد يريد الاستيلاء على الشام وتوحيد جبهتها، فسار إليها في أواخر العام نفسه؛ ولأن توحيد الشام كان يعني الكثير بالنسبة للمسلمين، إذ كان سيقويهم ويوحدهم أمام عدوهم الهائل المتمركز في بلادهم، وكانت انتصارات زنكي عليهم فواتح خير كثير يسعى زنكي إلى تحقيقه!!

الخيانة:

سار زنكي إلى الشام في نهاية (٥٣٣هـ)، وحاصرها، وكاد أن يستولي عليها لولا أن طلب أمراؤها النجدة من صليبيي بيت المقدس الذين رأوها فرصة للقضاء عليه، فاضطر زنكي للانسحاب.

لم يسترح زنكي، بل راح يفكر في طريقة أخرى تحقق له حلمه الذي شغله عبر سني كفاحه، وهو المواجهة الكبرى مع الصليبيين.

وبعد خمس سنوات من العمل الشاق وفي عام (٥٣٨هـ) أتيح لزنكي استغلال مكانته القوية في ديار بني بكر، وقام بفتح عدد من المواقع والحصون الصليبية التي تتبع إمارة الرها إحدى أكبر إمارات الروم في بلاد

الشام، ففتح حملين، والموزو، وتل موزن وغيرها من حصون شبختان وهو أحد أقاليم ديار بني بكر عند منابع نهر الخابور.

ورغم تحالف «قرا أرسلان الأرتقي» الذي كان من المفترض أن يكون معه، حين أرسله أبوه منذ سنوات لمساعدته على فتح حصن شيزر إلا أنه باع دينه وانقلب عليه، وكان زنكي يريد قطع الاتصال بين الأرتقي وبين جوسلين أمير حصن الرها، تمهيداً لتحقيق ضربته الكبرى التي كثيراً ما حلم بها.

مكانة مميزة:

كانت الرها من أهم المدن التي استولى الصليبيون عليها، فهي قاعدة لإحدى إماراتهم الأربع، وهي كذلك قريبة من العراق، وحصونها قوية، وكانت تسبب للمسلمين مخاطر لا حد لها، وهي كذلك من أعظم المدن عند النصارى، ونظراً لأنها تقع في منتصف بلاد الجزيرة فلقد سهل على الأعداء مهاجمة عدد من البلاد وإضافتها إليها، هذا غير الغارات التي تخرج منها إلى عدد من مدن المسلمين، مما يهدد أهلها بصورة دائمة وهي في النهاية تمنع زنكي من توحيد قوته الإسلامية في الجزيرة وشمالي الشام، بسبب تكاتف حكامها مع أعدائه من أمراء المسلمين في المنطقة.

كل هذا كان يشكل مكانة مميزة للرها من ناحية، ومن ناحية أخرى كان

هناك سبب واحد يجعلها من أهم المدن الإسلامية، ويجعل من سيطرة أعداء المسلمين عليها فرصة لإثارة القلاقل المتجددة بين العديد من دول المسلمين، فالرها هي التي تربط بين الموصل وحلب، فلا بد من المرور بها للمسافر من إحدى المدينتين المهمتين إلى الأخرى، وهي أيضًا – الرها – من ناحية أخرى التي تربط بين بلاد المسلمين الواقعة فيما كان يسمى بفارس قديمًا، وسلاجقة آسيا الصغرى من ناحية أخرى.

الفرصة المناسبة:

أصبح المسلمون يحيطون بالمدينة من كل ناحية، وكان نهر الفرات يفصل بينهما، وبين بقية إمارات الشام التي استولى الصليبيون عليها من ناحية أخرى، ولكن ذلك لم يكن دافعًا لأن يبدأ زنكي هجومه عليها، ورغم الإحساس الشديد بالمرارة في العالم الإسلامي، وتطلُّع المسلمين إلى قائد قوي يقف في وجه عدوهم الذي نزل بأرضهم، ومَنْ يكون هذا القائد غير زنكي؟ ورغم أن الرها كانت تجول في خاطره، وهي أمام قلبه، خاصة وهو يعلم أن فتحها وتحريرها من يد العدو سوف يفرح المسلمين، ويكون مبشرًا بتخليصهم من الخطر الصليبي كله، وأيضًا راحة لبلاد المسلمين بعامة، وبلاد الشام خاصة من شرهم، إلا أن زنكي البطل المحنك لم يتسرع في اتخاذ القرار وانتظر حتى صارت الظروف موائمة، وبدأت الأخبار تصل

إلى زنكي بأن الصراع بين ريموند أمير أنطاكية وبين جوسلين الثاني أمير الرها قد اشتد، بل قاطع كلاهما الآخر، وكان ريموند قد عزم على عدم الدفاع عن جوسلين إن هاجمه أحد، بل رأى أن في ذلك فرصة للشماتة فيه، وشاع ذلك الأمر، وأيضًا زاد في سوء وضع الصليبيين في الرها أن فولك ملك بيت المقدس قد توفي، وجاء بعده بلدوين الثالث، وكان صغير السن ضعيف الشخصية، و« ميلزاند » الوصية على العرش كانت متقلبة الأهواء لا تهتم بأمور الصليبيين بوجه عام؛ لذا لن تسعى في مصالحة بين جوسلين وريموند، وشاء الله أن يكون الاتفاق بين الصليبيين والإمبراطور البيزنطي والتحالف قد انتهى، وحل مكانه عداء شديد، وحروب دائمة، بسبب أطماع الطرفين في بلاد المسلمين، ولم يعلما أن الله قد قدر أمرًا آخر، وكان من عناية الله بالمسلمين وزنكي أن الإمبراطور « حنا كومنين » عدوه اللدود توفي.

وكانت ظروف الرها نفسها مشجعة له كي يبدأ هجومه عليها، فأميرها جوسلين الثاني ضعيف الشخصية منساق وراء العواطف، يسير وراءها دون أن يفكر بعقله، وزيادة إلى كون أمه أرمينية، فتربى وفي نفسه حب لمسيحيي الأرمن والشرق، مما أقلق الصليبيين الغربيين منه.

الخدعة:

وعلى الرغم من كل هذا إلا أن زنكي لم يطمئن، مع أن الظروف كلها مواتية وعداء جوسلين لريموند إلا أنه رأى في وجود جوسولين فقط بقواته في الرها مانعًا له من دخولها، وخطرًا شديدًا على جنوده؛ وعلى الرغم من الفرصة التي ظهرت أخيرًا أمامه في عام (٥٣٩هـ) إلا أنه أخذ يفكر في خدعة مثل تلك التي نفذها في شيزر من قبل بنجاح، فسار بقواته إلى بلدة أخرى تُسمى «آمد»، وبدأ يحاصرها، ويرتب قواته حتى إن الذي يراه يوقن أنه لا يريد إلا هذه البلدة، وفي الوقت نفسه وزع جواسيسه في الرها يخبرونه بكل ما يجري، أما جوسلين فإنه ما كاد يرى انهماك زنكي في محاربة أهل ديار بكر من قبل وعدم تفرغه للهجوم على مراكز العدو حتى غادر مقر إقامته إلى تل باشر، حيث المتع والملذات بعد أن عقد اتفاقًا مع قرا أرسلان، وظن أن أهل الرها سوف يدافعون عنها إن حدث شيء لها، وغاب عنه أن معظمهم من التجار الذين لا خبرة لهم بأمور الحرب والقتال، بينما ترك للجند المرتزقة الدفاع عن القلعة.

obeikandl.com

الفصل السابع

الانتصار

الخبر الذي طال انتظاره:

وعاد عيون زنكي ليخبروه بالأمر الذي طالما تشوق لسماعه، فكل الأمور الآن في صالحه، تساعده على قتال الصليبين في الرها، فما كان منه إلا أن طلب على وجه السرعة التطوع للقتال، فجاءه مسلمو المنطقة بأعداد كبيرة، فسار بسرعة شديدة، بعدما أتم جميع استعداداته..

الحصار:

وحاصر زنكي الرها من جهاتها الأربع فور وصوله إليها، وطلب من الأهالي فتح الحصون، فرفضوا طلبه، فما كان منه إلا أن أحكم قبضته على البلدة بالآلات الضخمة، أما جوسلين الذي كان مشغولاً بملذاته، فقد أدرك أخيراً الموقف الصعب الذي صار فيه فطلب على الفور السرعة من جميع أمراء الصليبيين في الشام، فلم يجب أحدهم سوى ميلزاند، وكانت الإجابة بعد فوات الأوان، وكان من الطبيعي أن تفعل الوصية على عرش بيت المقدس ذلك، وعلى بلدوين الثالث نظراً للعداوة التي بين جوسلين وبلدوين، وعدم اهتمام ميلزاند بأمور الصليبيين بوجه عام، وكان من عناية

الله بزنكي أن فرق صف عدوه فأتيحت الفرصة المناسبة له.

الاستسلام:

لم يكن جوسلين يتوقع أن يقوم أحد من المسلمين بمحاربة حصن الرها، وهو الذي يعرف بوجود زنكي جيداً، وجوسلين الذي ترك البلدة وخرج إلى تل باشر ليمارس ملذاته كانت نفسه المغرورة توحي له بأن أحداً لن يتعرض للمدينة، وكان المسلمون في تحرق وشوق شديد إلى أول خطوة على الطريق الصحيح، طريق الجهاد في سبيل الله لتحرير أرض المسلمين من يد عدوه الذي تمادى في ظلمه حتى لم يرحم أحداً منهم، وجعل غيرهم يتشجع لقتالهم.

واستمر حصار الحصن حتى زاد على عشرين يومًا، وجاء يوم (٢٦) من جمادى الآخرة من عام (٥٣٩هـ)، ومرت ثمانية وعشرون يومًا بالتمام على بدء الحصار.

قصة النصر:

في البداية انهارت بعض أجزاء من الحصن، فتمكنت قوات المسلمين من دخول المدينة بكثرة، وبعد يومين فقط سقطت قلعتها القوية التي يقوم على حمايتها جنود من المرتزقة الذين لم يستطيعوا حمايتها، وأدرك أهل المدينة بأنها سقطت ولا حل سوى الصلح، فأعلنوا عن رغبتهم في تسليم المدينة،

وكان زنكي الإنسان مقدراً للأمر؛ لذلك عندما قام القس اليعقوبي برصو بإجراءات التسليم، قام زنكي على الفور بإعادة الأسرى الذين أخذهم أثناء حصاره للمدينة، وأيضًا لم يقم البطل المسلم بتدمير أي من كنائسهم وكان يريهم سماحة الإسلام لا سيما وأن أهل المدينة كانوا من المسيحيين الشرقيين المختلفين في المذهب الديني عن الصليبيين الغربيين.

فارق كبير:

أشعر زنكي الجميع بالفارق الكبير بين حكم المسلمين وحكم الصليبيين بعد أن تمكنوا من البلاد فأكثروا من قتل أهلها، أمّن زنكي أهل المدينة، ولم يتعرض لها بسوء بعد أن سلموها، وسار لفتح الحصون المجاورة.

رد فعل الصليبيين:

وماذا عن رد فعل الصليبيين أنفسهم؟ لقد أفقدتهم الهزيمة توازنهم، ولأنهم قد خرجوا على غير مبدأ حقيقي فإن أحداً منهم لم يتحرك، فبلدوين الثالث تحت حماية أمه لا يزال، وريموند أمير أنطاكية أضعف من أن يفعل شيئًا، ولكن الذي حدث دفعه لأن يذهب إلى الإمبراطور البيزنطي مانويل الذي وعده بالتدخل، وقد كان فيها بعد أن أرسل الحملة الصليبية الثانية بعد وفاة زنكي.

لكن زنكي استغل فرصة اضطراب صفوف العدو بعد الهزيمة الثقيلة التي لحقت بهم، وصارت الحصون تسقط بين يديه واحداً بعد الآخر، حتى أهم الحصون التي كانت في يد جوسلين كادت تسقط، فوصل إليه ثقيل، نائبه على الموصل، لولا أن علم بخيانة حسام الدين تمرتاش، وتحالفه مع الصليبيين عليه، فاضطر لفك الحصار، وأمر بذلك مجبراً، ولكنه لم يتوقف عن محاربتهم في حصونهم المنتشرة غرب الفرات من مثل: تل باشر التي كان جوسيلين يحب الراحة فيها من قبل أن يذوق ضربات زنكي، ومرعش، ودلوك، سميساط وغيرها من الحصون، واستمر زنكي في هجماته، واكتشف أنه بحاجة إلى الهجمات غير المنتظمة على بلاد الشام لا الجزيرة والموصل فقط، فأخذ يكثر من الغارات، ومن الهجوم السريع، والانسحاب بعده لعدم تمكن قواته من البقاء في المكان؛ لذا فهو يبث الرعب وينشره في قلوب العدو ثم يسارع بالانسحاب، وهكذا لم يقصر عماد الدين زنكي، ولكنه كان بمنزلة الضوء الذي يتبعه شروق الشمس، لابد منه، ولكنه لن يحقق كلّ شيء، لقد بدأ سلسلة الخير، وجاء بعده الذين أكملوها بداية من ابنه نور الدين محمود، ونهاية بصلاح الدين الأيوبي.

النهاية:

كان النصر الذي حققه زنكي في الرها هو البداية التي تبعتها اشتباكات بين المسلمين والصليبيين، لكنها مختلفة هذه المرة، إذ حقق المسلمون نصرًا ضخمًا زاد من ثقتهم بأنفسهم وجعل الأعداء على الطرف الآخر يعيدون ترتيب حساباتهم كاملة.

واستمر كفاح زنكي عام ٥٤٠هـ، وإعداد قواته، وفي العام التالي قرر أن يحاصر قلعة جعبر، وبالفعل سار إليها، وأحكم قبضته عليها، وعلى ملكها عليّ بن مالك، وكان زنكي كعادته يريد من هذا الحصار تجميع أكبر عدد ممكن من قلاع المسلمين، وتوحيد جبهتهم ضد عدوهم، ولو أنه وجد استجابة من ملكها المسلم لما اضطر لحصارها.

وفي الخامس من ربيع الآخر عام (٥٤١ هـ) حين كان زنكي قريبًا من أخذ القلعة كانت الخيانة له بالمرصاد من هؤلاء الذين باعوا ضمائرهم، وهانت عليهم أمتهم، وذهبوا يبحثون عن ملذات زائلة، فذلك القاتل التي تُرك بليل نسي أنه يمد يده ليقتل القائد الذي وقف في وجه أعداء الإسلام لسنوات طويلة، والذي كون مع جنده الجبهة التي منعتهم من المزيد من التحكم في ديارهم، وامتدت يد الغدر بالليل، إذ قام جماعة من عبيد

زنكي عليه، ولم تكن عقولهم فيهم إذ ذهبوا إليه يريدون به شراً، فنسوا أنه القائد الذي فتح بلاد المسلمين، وروينا طرفًا من كفاحه، وهو الذي كان يضرب به المثل في الشجاعة.

وفي الوقت المحدد خرجت آخر أنفاس البطل زنكي بفعل عبيده، فاستشهد في تلك الليل.

ولئن كانت صفحة كفاح زنكي ضد الصليبيين قد انتهت، فإن صفحة أخرى قد بدأت ... صفحة ابنه نور الدين محمود الذي حمل المسؤولية من بعد أبيه، وجاء من بعده أيضًا من أكمل المسيرة حتى تحررت بلاد المسلمين، ويكفي زنكي شرفًا أنه قد بدأ المسيرة، مسيرة قادة المسلمين العظام الذين وقفوا ضد الخطر الصليبي، وأنه مات وهو يعد لمعركة يجمع بها شمل المسلمين ضدهم، رحمه الله تعالى وأجزل له ولأمثاله المثوبة.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
رحمة من عند الله	٥
تأثير خاطئ	١١
بطل أفرزته ظروف صعبة	١٥
بطولة مبكرة	٢٣
مرحلة مهمة في حياة زنكي	٣١
البطل يواجه الصليبيين	٤١
الانتصار	٥٥

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

العبيكان
obeikan
Printing & Packaging
Tel: (01) 465 1234